المحاضرة الثالثة :

3-صور انسانية في شعر الفتوح:

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأننا نجد في الشعر الذي قيل في عصر الفتوحات الإسلامية أسمى العواطف الإنسانية في علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وفي انفعالاتهم وهواجسهم، وتصوير ما يخالج نفوسهم من مشاعر الشوق والفرح والانفعال السريع بالانتصار، أو ربما ما يخالج نفوس بعضهم من خوف يعتريهم أو قلق على الأهل والأحبة.

وقد اخترنا الحديث عن هذه الصور الإنسانية المشرقة التي وردت في شعر هذا العصر، ونستطيع أن نوزعها على مجموعتين :

١- شعر المقعدين والشيوخ :

وهي صور إنسانية رائعة لم ترد على لسان المجاهدين، وإنما قالها الشعراء المقعدون الذين قعدت بهم شيخوختهم عن الجهاد والمشاركة فيه، ولم يكتفوا بهذا، بل تجاوزوه الى المطالبة بالتشبث بأبنائهم لأن ضعفهم الجسدي أدى إلى ضعف إرادتهم وعدم قدرتهم على الصبر وتحمل الفراق، كما انه يصور من جانب آخر ثبات الأبناء على عقيدتهم، واندفاعهم إلى الجهاد مع علمهم برغبة آبائهم وأمهاتهم.

وإذا كانت هذه الحالة غير شاملة ولا يمكن أن تعمم على جميع الشيوخ، إلا أنها طبيعية وموجودة في المجتمعات الإنسانية على اختلاف الظروف والأزمان.

يقول المخبل السعدي مخاطبا ابنه الذي شارك في الفتوح الإسلامية واصفاً شيخوخته وخوفه وقلقه عليه إلى درجة تجعله يتصور بأنه يعاني الموت والهلاك كل ليلة، وكأنه يطبق المثل العربي المشهور (أن الشفيق بسوء ظن مولع)، فهذا الشيخ يدفعه حبه لابنه إلى القلق عليه إلى درجة تقض عليه المضاجع، وكأنه يشرف على الموت شفقا وخوفا :

أيهلكني شيبانُ في كلِّ ليلة لقلبيَ من خوفِ الفراق وجيبُ
ويخبرني شيبانُ أنْ لم يعقّني تعقُّ إذا فارقتني وتحوبُ
فإنْ يكُ غصني أصبح اليومَ باليا وغصنُك من ماءِ الشباب رطيبُ

٢- شعر الشباب والابناء المجاهدين :

إن روح الحماس التي طغت على الشباب جعلتهم ينضوون تحت راية الجهاد الأكبر تاركين حياة الاستقرار. ويجب أن نتذكر هنا أن طبيعة تكوين الجيوش آنذاك مختلفة كل الاختلاف عن حالتها في الوقت الحاضر، فقد كان الانضمام إليها تطوعاً لا إجبارا، ويكفي أن ينادي منادي الخليفة بأن الجيوش تتوجه إلى فتوح العراق، أو الشام أو بلاد فارس، حتى يسرع الرجال والمقاتلون بأسلحتهم، يدفعهم الإيمان بالله وطلب ثوابه. هذه الروح هي التي جعلتهم يتغاضون عن الانفعالات والعواطف القوية التي تربطهم بأهليهم وأحبائهم، فالنابغة الجعدي يصوّر في أبيات له زوجته المحبة التي ترغّبه في البقاء، وتذكره بالمودة التي تجمع بينهما، وتحاول ان تثنيه عن عزمه بدافع الحب، والخوف عليه خوف الشفيق الودود، او تذكره بالله ورسوله وتنهل دموعها، فيجيبها جواب العقيدة ويشير الى قوله تعالى:﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ (سورة البقرة الآية ٢١٦) وكيف ينثني عن عزمه وواجبه وهو ممن لم تستثنه الآيات الكريمة حين استثنت الاعمى والاعرج والمريض من فرض الجهاد ؟.

باتتْ تذكرني باللهِ قاعدةً والدمعُ ينهَلُ من شأنيهما سُبُلاً
يا بنتَ عمّي كتابُ الله أخرجني كُرْها وهل أُمنَعنَّ اللهَ ما بذلا

فهو يشير في البيت الأخير الى قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح:١٧].

ح ــ وصف المعارك:

وإذا كان شعر الفتوح قد صوّر جانب العقيدة كما مرّ بنا فإن الشعراء استمرّوا على ما عرفه الشعر قبل الإسلام من وصف دقيق للمعارك والقتلى مما يمكن أن يعدّ استمرار له إلّا ما وجد فيه من إشارات ذات طابع خاص يقول ربيعة بن مقروم مفتخراً ببطولاته في المعركة دون أن يكون لفخره طابعاً مميزاً اللّهم إلّا إشارات إلى معركة الفيلة التي اقترنت في تحرير العراق حيث استعملها الفرس في جيوشهم:

ودعوا نزال وكنت أول نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل

ولقد جمعت المال من جمع امرىء ... ورفعت نفسي عن لئيم المآكل

ودخلت أبنية الملوك عليهم ... ولشر قول المرء ما لم يفعل

وشهدت معركة الفيول وحولها ... أبناء فارس بيضها كالأعبل

متسربلي حلق الحديد كأنهم ... جرب مقارفة عنية مهمل[٢]

---

(١) الإصابة ٢/ ١٨١.

(٢) الحيوان ٧/ ٢٦٣، والعنية دهن يطلى به البعيرا لذي أصابه الجرب، والتعنية: الحبس.

بعد
ووصف بسالة الأعداء مظهراً من مظاهر شعر الفروسية في أدب ما قبل الإسلام ووجدنا صداه في الأدب الإسلامي حين حاول شعراء الفتوح أن يصفوا ضخامة جيش الفرس وشبهها بعضهم بالجبال أما أصوات الزحف فهي أشبه ما تكون بالزفير العالي كل ذلك ليصل إلى بسالة جيش العرب المسلمين الذين استطاعوا أن ينتصروا على جيش هذه مقوّماته ولكنه يفتقد إلى أهم مقوّم توافر في جيش العرب وهو العقيدة وصدق الدفاع عن القتال، يقول بشر بن ربيعة الخثعمي:

أنخت بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي أمير
وسعد أمير شره دون خيره ... وخير أمير بالعراق جرير

(يريد بجرير: جرير بن عبد الله البجلي)

تذكر هداك الله وقع سيوفنا ... بباب قديس والمكر عسير (حفظ)
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة ... دلفنا لأخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها أجمعين كأنهم ... جمالٍ بأحمالٍ لهن زفير (حفظ)
عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحي طائر فيطير

فالشاعر هنا يشبّه جيش الأعداء بكثرته وضخامته بالجبال وقوّتها ثم انتقل من وصف ضخامة الجيش إلى وصف الأصوات التي تسمع من العدد الثقيلة المصاحبة للفرسان وقراع السيوف وأصوات الأطبال يشبهها الشاعر بالجمال إذا حملت أثقالاً كبيرة فتئن. وهو تصوير يحمل في ثناياه صورة بدوية اعتيادية قريبة من ذهن الشاعر إلا أنه تشبيه غير موفّق لأن أصوات الجيوش الجرارة لا يمكن أن تقارن بزفير الإبل المثقلة بالأحمال ولكنه وفق في البيت الأخير في تصوير شدة المعارك حتى ودّ بعض القوم لو أنه يفر بنفسه لهولها ولكنه لم يقل بأنهم فروا، وجعل القول في وصف هذه المعاناة عاماً يشمل الفرس والمسلمين الذين استعدوا بكل قواهم لهذه

الحرب إلا أن النصر كان حليف العرب المسلمين إذ أباد الله جموع الفرس وبددها.

ويقول عروة بن زيد الخيل مسجلاً انتصارات المثنى بن حارثة الشيباني في العراق، وما حققه من نصر على جيوش الفرس التي ولّت هاربة:

وقد أرانا بها والشمل مجتمع ... إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
أيام سار المثنى بالجنود لهم ... فقتَّل القوم من رجلٍ وركبانا
سما لأجناد مهران وشيعته ... حتى أبادهم مثنىً ووحدانا
ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى ... مثل المثنى الذي من آل شيبانا[1]

والقعقاع الفارس الشاعر الذي أشاد ببلائه وبلاء المسلمين في الفتوح الإسلامية لا يجد غضاضة في الإشادة بقدرة أعدائه وبلائهم في القتال فيصوّر شجاعتهم واستبسالهم وكثرتهم كل ذلك يؤدي حتماً إلى تصوير مواقف الأبطال المسلمين الذين استطاعوا أن ينتصروا عليهم وهم بهذه الصفة التي ذكرها:

لم أر قوماً مثل قوم رأيتهم ... على ولجات البر أحمى وأنجبا
واقتل للرؤاس في كل مجمع ... إذا ضعضع الدهر الجموع وكبكبا[2]

أما شدّة المعارك التي لم تكن في صالح المسلمين فقد أشار إليها كثير من الشعراء في أبيات متفرقة، فهذا الأعور بن قطبة ينكر أخاه الذي قتل يوم كان قد قتل قائداً من قوّاد الفرس ولكنه قتل أثر ذلك فأي شعور يصوّره هذا الشاعر المجاهد وهو بين انفعالين الفرح بالنصر لأن قائد الفرس قد قتل والحزن والألم لأن أخاه قد قتل أيضاً.

لم أر يوماً كان أحلى وأمر ... من يوم أغواث إذا افترّ الثغر

(١) الأخبار الطوال: ١١٥.
(٢) شعر الفتوح: ٢٣٢، عن ياقوت في معجم البلدان: ٣/ ٨٩٤.

من غير ضحك كان أسوى وأبر[1]

ويذكر مالك بن الريب سعيد بن عثمان بيوم عصيب من أيام فتوح خراسان وكيف أنه رأى الرعب والفزع في وجهه حتى كاد أو خيّل إليه بأن صاحبه سيعلن تنصّره ويقصد رجوعه عن عقيدته ودينه الإسلامي لهول المعركة:

وما زلت يوم السغد ترعد واقفاً من الجبن حتى خفت أن تتنصرا[2]

والبيت وإن قيل في الهجاء إلا أنه يحمل صورة صادقة لشدّة الحروب التي خاضها المسلمون والمواقف الحاسمة التي تعرّض لها جيش المسلمين في فتوح فارس فثبت على عقيدته وإيمانه وإذا كان الشاعر يهجو فارساً خاض معه غمار الحرب فإنه ينقل لنا هذه الصورة سواء طابقت مهجوه أو طابقت غيره وإنه لم يرد بها أن يعلن المهجو تنصره حقيقة وإنما خيّل إليه بسبب حالة الرعب التي رآها على وجه صاحبه بأنه سيعلن تراجعه عن عقيدته الإسلامية ولكن هذا لم يحدث أبداً لأن المسلمين العرب ثبتوا على العقيدة والجهاد حتى أتاهم الفتح والنصر، ولكن الشاعر هنا يصوّر شدة المعارك واحتدامها.

د ــ وصف طبيعة البلاد المفتوحة:

وهناك صور أخرى تتعلق بشعر الفتوح الإسلامية وهي التي قيلت في الوصف وأهميتها متأتية من أنها تمثل مادة جديدة أضيفت إلى فن الوصف الذي برع فيه شعراء ما قبل الإسلام وقامت قصائدهم عليه.

لقد اعتاد العربي في صحرائه أن يصف ما فيها من حيوان وطبيعة، فكان من بين الأوصاف الكثيرة الورود وصف الفرس والناقة لأنهما أساس

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٤٧.

(٢) فتوح البلدان: ٥٨٠.

حياته وقوام معيشته ولا عجب أن نجد وصف الشعراء قبل الإسلام لفرسهم أو ناقتهم دقيقاً رائعاً يدلّ على معرفة تامة بهذين الحيوانين، وتأمل مستمر لأعضائهما وعاداتهما حتى ليخيل إليك أن بين العربي وفرسه علاقة وثيقة جداً قد تقرب العلاقة الإنسانية بين شخص وآخر في بعض الأحيان فتقرا شعراً لأحدهم يصوّر لك فيه شكوى جملة من متاعب السفر ليلاً ويجيبه الشاعر بأنهما متساويان في هذا البلاء وما عليهما إلّا الصبر وكأن هناك وحدة أحاسيس بينهما وواقع الحال أن الشاعر أراد أن يعبّر عن بلاء السفر الذي عاناه فعبّر عنه بهذا الأسلوب اللطيف:

شكى إليّ جملي طول السرى   صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

وإذا أحسّ العربي بالتعب وثقل الطريق وعنائه فإنه ينظر إلى ناقته نظرة عطف ومشاركة لأنها صبرت معه طول هذه السفرة الطويلة لذا يبشرها بانتهاء الرحلة أو الحصول على الماء.

تبشري بالرفه والماء والروى   وفرج منك قريب قد أتى

وقد تفسر هذه المخاطبة بأنها وسيلة من وسائل التعبير عن النفس بطريق مخاطبة الناقة ولكنها تبقى صورة رائعة لأحاسيس العربي وإذا كان القعقاع بن عمرو قد وصف الفيلة في شعره الذي قاله مفتخراً بسَملة عيونها، فإن هناك شاعراً آخر نقل لنا صورة طريفة للفيل صورت دهشته لرؤيته وضخامة جسمه وقوّته حين يطأ الأرض فيحطم كل ما يمرّ فوقه، ولم يجد هذا الشاعر تشبيهاً يشبه به ضخامة جسم الفيل وقوّة وقع أقدامه الأرحاء - جمع الرحى - فشبهه بمن يحمل أرحاء ثقيلة من الصخر فتحطم كل ما تدوسه وتطأه، ووصف طول خرطومه وعجب من رده في جوفه إذا أكل كل ذلك في صورة بسيطة ولكنها مجسّدة لمنظر الفيل الضخم الذي واجه العربي وتمنى لو أنه يملك الوسيلة التي تجعله يهرب من المعركة

- معركة الفيول - لينجو بنفسه وهو في هربه الذي يتمناه لا يعتبر نفسه ظالماً أو جباناً.

أجرد أعلى الجسم منه أضخم
يجر أرحاء ثقالاً تحطم
ومشفر حين يمد سرطم
يرده في الجوف حين يطعم[1]

ومع ورود ذكر الفيلة التي قادها أبرهة عام ولادة النبي محمد ﷺ فإنه لم يرَ شعر في وصفها من قبل مما يجعلنا نقول بأن حروب تحرير العراق قد عرفت أول مرة هذا العنصر من عناصر وصف الحيوان في أدبنا العربي، وشعور العربي بالغربة والحنين إزاء هذا الحيوان يجعلنا نقرن بينه بين وصفه الخيل المحببة إلى نفسه صديقته في أسفاره وترحاله.

ومما يضاف إلى عناصر الوصف ما وجد من أشعار في وصف البحر في بداية عصر الفتوح الإسلامية، ذلك أن العرب اعتمدوا القوافل البرية في تجارتهم والخيول في حروبهم ولم يعرفوا ركوب البحر في عصر ما قبل الإسلام إلَّا في مناطق معروفة وأغراض محدودة.. فورد وصف البحر على سبيل التشبيه في شعر امرىء القيس. وورد وصف السفينة وربانها في شعر طرفة لأنه كما قيل عاش في البحرين المطلة على الخليج العربي أما ما سوى ذلك فلا نجد إلَّا تشبيهات أو إشارات، ونتيجة لتحرير العراق واجه العرب مشكلة عبور نهر دجلة لملاحقة أعدائهم الفرس ولحقوهم فعلاً تابعين فلولهم المهزومة، داحرين كبرياءهم وعنجهيتهم، ونرى الشاعر هنا يستعمل لفظ البحر ليدل به على النهر ويشجع كتيبة الجنود على عبوره ويعدّ أول عابر وقاطع له هو صاحب الأجر والثواب عند الله لأنه يشجع الآخرين ويسهم في القضاء على أعدائه:

---

(١) الحيوان ٧/٧٢.

امضوا فإن البحر ماء مور والأول القاطع منكم ماجور
قد خاب كسرى وأبوه سابور ما تفعلون والحديث مأثور[1]

ومن العناصر الجديدة التي أضيفت إلى شعر الفتوح ما قيل من أوصاف في الطبيعة الغريبة التي وجد المسلمون أنفسهم بين أحضانها. لقد اعتادوا من قبل الحياة في الجزيرة العربية والاهتداء بقبائلهم عبر الهلال الخصيب في العراق والشام ولكنهم لم يعتادوا الحياة في المناطق الجبلية لبرودة جوها وريحها الثلجية، ولم يعانوا في جزيرتهم من تراكم الثلوج لذا نرى الشاعر مالك بن الريب يطلب من قائده الانسحاب من مدينة الترمذ لا لشيء إلا لأنه وأصحابه معه لا يطيقون البرد الشديد والثلج الذي تزيد الريح حدّته:

هبّت شمالاً خريف أسقطت ورقا وأصفر بالقاع بعد الخضرة الشيح
فأرحل فديت ولا تجعل غنيمتنا ثلجاً يصفقه بالترمذ الريح
إن الشتاء عدو ما نقاتله فأقفل هديت وثوب الدق مطروح[2]

وهذا أحد الفاتحين يصف برودة الجو في مرو، ويعجب لتنكر الأرض التي تتابع ثلجها، ويشفق على أهلها الذين يقضون الشتاء مقرورين دائماً محتمين بأثواب يدسون أيديهم فيها لشدة البرد كأنهم أسرى:

وأرى بمرو الشاهجان تنكرت أرض تتابع ثلجها المذرور
إذ لا ترى ذا بزة مشهورة ألا تخال كأنه مقرور
كلتا يديه لا تزايل ثوبه كل الشتاء كأنه مأسور[3]

نعم. عرف الشعر العربي من بعد وصف برد هذه البلاد وشتائها وثلجها، ولكن ذلك بعد أن استقرّت القبائل العربية آنذاك وربما ورد هذا

---

(١) شعر الفتوح: ٧٦٥ عن أسد الغابة ٤/٢٨٢.
(٢) فتوح البلدان، ٥٧٩.
(٣) شعر الفتوح: ٢٥٨.

الشعر عند من ولد في تلك البلاد وترعرع فيها فشعره يمثل وصفاً لبيئته في حين أن هذه الأشعار القلائل التي تصف البرد والشتاء تمثل شعور المسلمين تجاه هذه البيئة الجديدة التي ما اعتادوا عليها من قبل، لذا جاءت أوصافهم مغايرة لما سيرد عند شعراء العصر العباسي من وصف لهذه البلاد كما نجد ذلك عند بعض شعراء (يتيمة الدهر) أو في كتاب «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي.

ولنا أن نتساءل أن الظروف الطبيعية القاسية التي واجهها المسلمون في بلاد فارس تكاد أن تكون الظروف القاسية نفسها في بلاد المغرب العربي فلم لم يصل إلينا من شعر المحررين الفاتحين في المغرب العربي ما يصور هذه الحالة؟ إن تعليل هذه الظاهرة بكون جلّ الفاتحين لهذه الميادين[1] «كانوا من عرب اليمن الذين لم يرزقوا ما رزق العدنانيون من اقتدار على التعبير الشعري». هذا التعليل غير مقبول لأنه كانت في جيوش الفتح في العراق قبائل يمانية وكان لها نصيب وافر في الإسهام في الفتح ونصيب وافر في الشعر المصوّر لهذه الأحداث ويكفي أن يكون بين قوّاد العراق جرير بن عبد الله البجلي، وبجيلة قبيلة من اليمن. وعمرو بن معد يكرب شاعر الفتوح وهو زبيدي وزبيد من اليمن أيضاً.

إذن لا يبقى أمامنا من تعليل سوى الاعتراف بأن بعد المسافة بين المشرق والمغرب وكون العرب المحررين الفاتحين قد أقاموا واستوطنوا في بلاد المغرب العربي مما جعل أشعارهم نادرة الذكر في مؤلفات المؤرخين الذين نشطت حركتهم في الشرق وفي العراق بالذات فاعتنى هؤلاء المؤرخون بذكر الوقائع والحوادث التي وعتها الذاكرة العربية دون الأشعار التي ضاع معظمها بعد وفاة أصحابها وضاع القسم الآخر في طريقه إلى

---

(١) هذا رأي القاضي نعمان في شعر الفتوح: ١٦٨.

أفواه الرواة وذاكرة المؤرخين. أما في المشرق فالأمر مختلف تماماً لوجود مراكز الحضارة والحركة الفكرية المتمثلة بالتأليف أولاً ولوجود مؤرخين تصدَّوا لتسجيل التاريخ الإسلامي من أهل هذه البلاد أصلاً أو ممّن سكن العراق فكانوا أقرب إلى موارد المادة التاريخية التي يكتبون عنها، ووسائل نقلها متوافرة لديهم مثل البلاذري والواقدي والطبري والمسعودي وغيرهم... أما رواة الأدب فمدارسهم لا تتجاوز مدرسة الكوفة والبصرة اللتين ينطبق عليهما ما ذكرناه أعلاه من بعد المسافة بينهما وبين المغرب العربي.

هـ ــ الرسائل الشعرية:

ومن الميادين الطريفة التي استخدم فيها الشعر إيصاله فكرة الشاعر على شكل رسالة شعرية يبعثها إلى من يريد إبلاغه بها وقد مرّت بنا أبيات الحتات التي تمثل رسالة عزم يخاطب بها أباه، ويبين له فيها ثباته على الجهاد. ورغبته فيه، وأن شجاعته قد عرفها رفاقه المجاهدون لذا سيبقى بينهم لأن الخيل وفرسانها قد عرفوا مكانته في القتال وأهميته. وقد كتب الجنود أبياتاً من الشعر بعثوها إلى الخليفة أو إلى قائدهم مخبرين عن حالهم تارة منبهين الخليفة إلى حالة خلاف تحدث بينهم وبين قائدهم أو بين قائدين من قوّاد الفتوح كما ذكر البلاذري في شأن الخلاف الذي حدث بين (سليمان بن ربيعة الباهلي) و(حبيب بن مسلمة الفهري) وكانا قائدين اختلفا حتى تغالظ حبيب وسلمان في القول وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل فقال الشاعر:

أن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل[1]

وكتب إلى عثمان بذلك.

إن الرسالة الشعرية كانت معروفة متداولة في شعر ما قبل الإسلام

(١) فتوح البلدان: ٢٧٩.

خاصة ما يتعلق بأيام العرب وحروبها حين يقع الفرسان أسرى في أيدي أعدائهم ولا يجدون من يخبر قبيلتهم عن مكانهم أو حالهم إلّا أبيات الشعر ينشدونها فينقلها بعضهم إلى قومهم، وكثيراً ما تكون هذه الأشعار رمزية قريبة إلى التعمية والمغالطة ليخفى شأنها على الأعداء ولكنها كانت في شعر الفتوح واضحة في أفكارها وأسلوبها مصرّحة عن قصد مرسلها من ذلك قصيدة أبي المختار يزيد بن قيس الكلابي التي رفع فيها شكواه من عمال الأحواز وغيرهم إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واصفاً حالة بعضهم الذين استغلوا وظائفهم لجمع المال دون أن يفكروا في أنه بيت مال المسلمين وأنهم عيّنوا لرعايته وحفظه وتوزيعه كما أمر الله ورسوله:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن ... أميناً لرب العرش يسلم له صدري

والشاعر هنا يشير إلى ثقته بالخليفة تلك الثقة التي جعلته يكتب عن سيرة بعض عمّاله ويفضحهم ثم يقول:

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى ... يسيغون مال الله في الأدم الوفر
فأرسل إلى الحجاج واعرف حسابه ... وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر
ولا تنسين النافعين كليهما ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منها بصغر عناية ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر

ويستمر بذكر أسماء من يتهمهم بجمع المال ويطالب الخليفة أن يردعهم ويحاسبهم ويأخذ منهم نصف أموالهم ويلتمس منه ألّا يدعوه إلى الشهادة لأنه يكفيه أن يعلم الخليفة بالأمر وما على الخليفة إلّا التحقق في الأمر ومحاسبة المقصرين.

فقاسمهم نفسي فداؤك أنهم ... سيرضون أن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهادة إنني ... أغيب ولكني أرى عجب الدهر
نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا ... فأنى لهم وفر ولسنا أولي وفر